



(التعريف والنقد)
شرح المقدمة الجزولية الكبير
لأبي علي الشَّلَوْبِين

مأمون الصاغرجي

الجزوليـة مقـدمـة مختصرة في النحـو ، أَلَّفهـا أبو موسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى البربري المَرَّاكُشيّ المتوفَّى سنة ٦٠٧هـ ، تكلم فيها على أبواب العربية ليضبط قوانينها ، ويقيِّد مسائلها ، ويحكم أصولها بعبارة موجزة يسهل على الطالب حفظها وتدبُّر معانيها ؛ قال ابن خلِّكان عنها (وفيات الأعيان ٣/٤٨٨) : « ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهي في غاية الإيجاز ، مع الاشتمال على شيءٍ كثير من النحو ، ولم يسبق إلى مثلها » .

وأُطلق على هذه المقدمة أسماء عدة إيذاناً بأهميتها وشهرتها ؛ فسُميت بالقانون والمقدمة والإملاء والكراس والجزولية وغير ذلك[١] .

ولما كانت هذه المقدمة موجزة العبارة ، دقيقة المعنى ، شديدة التركيز كان أسلوب الجزوليِّ فيها صعباً يلفُّه الغموض ، فيه قدر كبير من اصطلاحات المناطقة ، فأولع بها النحاة من بين شارح ومختصر وناظم ، وكثرت شروحها ، إذْ بلغ عددها زهاء ثلاثين شرحاً ، نذكر من شراحها :

(١) انظر شرح المقدمة ١/٥١ .

مؤلفها الجزولي نفسه ، وابن معطي (ت ٦٢٨هـ) والشريشي (ت ٦٤٠هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والأُبَّذي (ت ٦٨٠هـ) والشلوبين (ت ٦٤٥هـ) وغيرهم .

بعض هذه الشروح موجود لا يزال مخطوطاً أو قيد التحقيق ، وبعضها الآخر مفقود له ذكر في بطون الكتب[1] .

وقد امتاز من بين هذه الشروح شرح أبي علي الشَّلَوْبِين عمر بن محمد المتوفَّى سنة ٦٤٥هـ - الذي نعرِّفه في هذه السطور - بالدقة والعمق والغوص على المعاني وتحليلها تحليلاً واسعاً .

والشَّلَوْبِين والشلوبيني : لقب أبي علي ونسبته ، واختُلف فيهما : هل نسبته إلى شَلَوْبينة بلدٍ بساحل غرناطة ؟ أم هو لقبٌ معناه بلسان روم الأندلس : الأبيض الأشقر[2] ؟ لقد رجَّح المحقق هذا الأخير لعدة أسباب ذكرها في مقدمته للشرح[3] .

لقد توفَّر على إخراج هذا الشرح وتحقيقه الدكتور تركي بن سهو العتيبي فاختاره ليكون موضوع دراسة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد اعتمد فيه على ثلاث نسخ مخطوطة من مكتبات تونس والمغرب وبرلين ؛ وقامت بنشره لأول مرة مكتبة الرشد في الرياض ، وطُبع بمطبعة الخانجي بالقاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م في ثلاثة أجزاء .

---

(١) انظر شرح المقدمة ١/٦٩ - ٧٥ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٨ .

(٣) انظر شرح المقدمة ١/١١ - ١٣ .

بنى المحقق عمله على ثلاثة أركان : الأول أطلق عليه اسم « الدراسة » (١/٩ – ١٥٣) وفيها تحدث عن الشارح أبي علي الشلوبين وسيرته وآثاره ، ثم تحدث بالتفصيل عن متن الجزولية وسبب تأليفها وشروحها وأثرها وقيمتها العلمية ، وأفرد فصلاً لتحليل الشرح الكبير للمقدمة (موضوع الكتاب) متحدثاً عن مصادره وشواهده ، وموقفه من المتقدمين ورأيه في إدخال علم المنطق في النحو ، وعنايته بالعلَّة والقياس ، وبيَّن اجتهاداته من خلال هذا الشرح ، ثم عرض إلى قيمة الكتاب العلمية والمزايا والمآخذ التي أخذها عليه . وأفرد فصلاً آخر وازن فيه بين شرحين للمؤلف كبير وصغير ، كما وازن فيه بين شرح الجزولية للأُبَّذي والشرح الكبير للمؤلف .

الركن الثاني : تحقيق النص والتعليق عليه ، وقد بيَّنَ منهجه في المقدمة (١/١٥٥ – ١٨٧) والمخطوطات التي اعتمدها . وأخرج النص المحقق من ١/١٩١ حتى ٣/١١٦٤ .

الركن الثالث : الفهارس الفنية المتنوعة من ص١١٦٥ حتى نهاية الكتاب ١٣٥٨ .

أشار المحقق في مقدمته ص٨ أن أبا علي الشلوبين لم يكن « يشرح متن الجزولية جميعه ، بل كان يجتزئ العبارة اجتزاءً ، ولا يتناول بالشرح إلا ما يراه مُهمّاً ، فيصطفي كلمةً من بين كلمات ، أو جملةً من بين فقرات » .

وقد أشار الأستاذ المشرف على الرسالة د. توفيق محمد سبع إلى ذلك أيضاً بقوله (ص ج) : « لم يكن يتناول المقدمة بالشرح جملة جملة ، بل كان يهتم فقط بالقضايا الكبيرة والمشكلات الصعبة ، فيوسعها تحليلاً وتعليلاً ، ويمرُّ مرَّ الكرام على المسائل السهلة التي لا تحتاج في نظره إلى

توضيح ، ولذا كان يترك كثيراً من سطور المقدمة فلا يتناولها بشرح قليل ولا كثير ... » .

ويتناول المحقق في أثناء تحليله لهذا الشرح طريقة المؤلف ، وكيف أنه يبترُ نصوص الجزولية ، فلا يذكر منها إلا الموضع المراد من الشرح ، وربما يجتزئ من فصلٍ كامل بعبارة واحدة ، ويقول في معرض حديثه عن الاحتمالات العقلية التي يوردها الشارح : « قد أكثر الشارح من الاحتمالات العقلية ، فهو يذكرها ويردُّ عليها ويمزجها بعلم الكلام والمنطق ، مستفيداً من فقهه لقواعد اللغة ، نازعاً إلى تحليل الأحكام ، مما يجعل حديثه مشحوناً بالعِلل لكلِّ ما يذكره »[1] .

واتسم أسلوب الشارح بالاستطراد والتطويل في كلِّ ما يناقشهُ ويتطرَّق إليه ، وهو يدرك هذه الإطالة ويدافع عنها إذ يقول : « وإنما احتجنا إلى الإطالة في تصحيح هذه العبارة وتكثير الاعتراضات فيها والانفصالات عنها ، لأن بعض الناس يظن أن العبارة الصحيحة في هذا إنما هي عبارة من يقول : ويُفْهَمُ من لفظها أنه ماض أو ليس ماضياً ، لأنها لم تعترض بشيء ... »[2] .

ومع ذلك فقد كان الشلوبين إماماً من أئمة العربية ، يتمتع بمقدرة لغوية فائقة ، ونظرة دقيقة فاحصة ، يقول في أثناء حديثه عن جمع المذكر السالم (٥٦٧/٢) : « والسبب فيما خرج عن الأصل كما أعطاه كلامي فقد صار اختصار ذلك الكلام الذي أصلحتم به كلامي اختساراً (افتعالاً من الخسران) لما خُسر فيه من الفوائد التي ذكرناها » .

(١) انظر شرح المقدمة ٨١/١ .
(٢) انظر شرح المقدمة ٢١٥/١ .

هذا وقد أظهر المحقق قيمة الشرح العلمية الكبيرة التي يتمتع بها (١٣٢/١) بما حوى من جَوْدة العلل ، وكثرة المناقشات والاعتراضات ، ودقة النظر ، والقياس لكثير من المسائل التي جعل منها نظائر لكثير من المسائل وجمع بينها في الأحكام . وذكر أيضاً المآخذ اللغوية والتوثيقية وسواها .

وقد وصف المحقق هذا الشرح (١٣٢/١) بقوله : « وأهم شيء يقال عن الكتاب : إنه أعمق شرح من شروح الجزولية على الإطلاق ، وإن كان غيره قد تقدمه بكثرة الشواهد وإيراد آراء النحاة ، لكن أبا علي تقدَّمهم في جَوْدة مناقشته لما يورده ، وقوة اعتراضاته فيما يعترضه » .

وإن الناظر في هذا الشرح لا يملك إلا أن يُثني على ما بُذل فيه من جهد واضح كل الوضوح ، من ضبط النصوص وتخريجها وربطها بكتب هذا الفن ؛ وكانت لي في الكتاب نظرة سريعة ، طالعتني فيها هناتٌ بسيطة ، غارقة في بحر حسناته ، لا تغضُّ من عمل المحقق ، وربما لا تخفى على القارئ النبيه ، وإنما هي أشياء لا يكاد يخلو منها كتاب صنعه بشر ، وربما كان جلُّها يرجع إلى خطأ الطباعة ، أذكر فيما يأتي شيئاً منها لتستدرك في طبعة لاحقة إن شاء الله :

جاء في (٢٩٨/١) حاشية (١) قول الشاعر :

قـلْ لوالٍ غـادرتُـهُ بعـد بـينٍ   سـادمـاً نـادمـاً **يعُضُّ** اليـدينِ

فقد ضُمَّ عين المضارع من « يعضُّ » وحقُّه الفتح لأنه من باب تعب ونفع ، وجاء في التنزيل : ﴿ ويوم يعَضُّ الظالم على يديه ﴾ [الفرقان : ٢٧] .

– ومثله جاء في (١١٦٣/٣) قوله :

ويقـلن شـيبٌ قـد عـلا   ك وقد **كَبُرْتَ** فقلت : إنَّـهْ

كذا ضبط بضم الباء من (كبرت) والصواب كسرها ، لأنَّ كَبُرَ بضم البـاء يأتي بمعنى عَظُم ، وليس مراداً هنا ، وأما (كَبِر) بكسر الباء الموحدة فمعنـاه : طَعَنَ في السن ، وهو المراد . ولقد تكرر البيت بالخطأ نفسه في السطر الثاني من حاشية ص١١٦٢ .

– وجاء في (٢٢١/١) قول جرير :

تمـرُّون الديـار **ولن** تعـوجـوا كلامكـم علـيَّ إذنْ حـرامُ

والمحفوظ من شعر جرير : « تمرون الديار ولم تعوجوا » . تُرى هل هذه رواية أم تصحيف ؟.

– وجاء في (٤٧٨/٢) قول ابن عنمة الضبي :

اردُدْ حمـارك لا يـرتعْ بـروضتنـا إذنْ **يُـرَدُّ** وقيـد العـير مكـروبُ

كذا جاء « يُرَدُّ » بالرفع ، والصواب حسَب الاستشهاد « يُرَدَّ » بالنصب لأنَّ قوله : « اردُدْ حمارك لا يرتع بروضتنا » كلام تامٌّ يستغني عما بعده ، يعني أنَّ ما قبل « إذن » مستغنٍ عما بعدها وغير مفتقر إليه .

وثمة أخطاء في الضبط أدت إلى خلل في العروض ، من ذلك قول أبي الأسود (٢٧٨:١) :

وكأنْ سِيَّـانَ ألا يسـرحوا نعمـاً أو يسـرحوه بها واغبرَّت السُّـوحُ

والصواب فيه : « وكانَ سيَّانِ » وتكرر الخطأ أيضاً في الحاشية (٣) من الصفحة نفسها وهو قوله :

وكأنَّ مثـلين ألا يسـرحوا نعمـاً حيث استرادت مواشيهم وتسريح

والصواب فيه : « وكانَ مثلين .. » .

– وجاء في (٢/٨٠٥) قول العماني :

تخال **أُذُنَيْـــه** إذا تشـــوّفـــا قـــادمـــةً أو قـــلمـــاً محرَّفـــا

والصواب فيه : « أُذْنَيْه » .

– وقول الشاعر في أول سطر من الحاشية (٢/٨٢٦) :

أوحشت من **سُـرُوبٍ** قومي تعارُ فـــأرومٌ فشـــابَـــةٌ فـالسِّتـــارُ

كذا بتنوين « سُرُوبٍ » والصواب فيه « سروبِ » حذف التنوين والإضافة .

– وقل العباس بن مرواس في (٣/١٠٩٧ الحاشية) :

السِّـلْمَ **تأخُذْ** منهـا ما **رضيتْ** به والحربُ **تكُفيك** من أنفاسها جُرَعُ

والصواب في ضبطه :

السِّـلْم تأخذُ منهـا ما رضيتَ به والحرب تكْفيك من أنفاسها جُرَعُ

وثمة بعض أخطاء إملائية من مثل قول أبي زبيد الطائي (٢/٥١٩) :

من يكـذْني **بَسْـيّءٍ**[٦] كنتُ منـهُ كالشجَـــا بـين حـلْقِـه والوريدِ

كذا ضُبط وكُتبت الكـلمـة بهمزة على السطـر « بَسْـيّءٍ » . والصواب في ضبطها وكتابتها «بِسَيِّئٍ » بياءين الأول فوقها شدة مكسورة ، والثانية بما يسمَّى كرسي للهمزة ، أي ياء من غير نقط وفوقها همزة . انظر قواعد الإملاء لعبد السلام هارون ص٩ ، ٦٦ ، والمطالع النصرية ص٥٦ .

–وجاء في قول أبي الأسود في (٢/٦٣٢ للحاشية) :

وإنَّ **امرءاً** قد قال في الحق خُطَّة لمـــلتـمسٌ تصـــديقهـــا ببيـــانهـــا

كذا رسمت الهمزة على السطر ، والصـواب أن تكون فوق الألف « امرأً » . (انظر المصدرين المذكورين آنفاً) .

– وجاء في (٢/٧٩٩) الشاهد :

.... كأن ظبية تعطوا إلى وارق السَّـلَم

كذا « تعطوا » بزيادة ألف بعد الواو الأصلية في الفعل ، والصواب حذفها .

وبعض الأخطاء المطبعية الطفيفة التي لا تخفى على القارئ أسردها فيما يأتي :

ص	س	الخطأ	الصواب
٢١٥	حاشية (٣)	يخذولنني	يخذلونني
٤٧٢	حاشية (٥)	لَخَوْلَة	لِخَولة
٦٠١	١	تَزَبُّى	تَزَبَّى
٦٠٣	١١	عمَّيْ	عمَّيَّ
٨٩٩	٦	وما صاحبْ	وما صاحبُ
صفحة الغلاف	٣	٥٦٢هـ – ٦٥٤هـ	٥٦٢هـ – ٦٤٥هـ